المجلس الأول

الإخـــــلاص

المجلس الأول

الإخـــــلاص

جاءت شريعة الإسلام بالحثّ على فعل الخير وابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ مع متابعة النبي ﷺ في فعله، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، وقال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]، قال: أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابًا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»(٢)، فليخلص لله النيّة من عزم على الوقف في سبيل الله وليقتف أثر سيد المرسلين ﷺ.

وإن الوقف في سبيل الله من أعظم الخيرات ومن أجلّ القربات حيث جمع بين الصّدقة في سبيل الله وديمومتها واستمرارها.

فالوقف هو: حبس المال المتصدَّق به، فلا يُباع ولا يُوهب ولا يُورث مع تسبيل

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٥/١٢٤)، التفسير القيم (١/٧٨)، تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨).

منفعته وأثره وريعه في وجوه البر والمعروف.

إن نماء الأوقاف وبركتها وعموم نفعها يعود في الغالب إلى صدق نية الواقف وابتغائه للأجر من الله ﷻ فربّ عمل قليل تكثره النّية و«سبق درهم مائة ألف درهم»(١) كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فلا تستحي من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقلّ منه، وتأمل قول الحق ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ولاحظ: لأهمية الإخلاص في الصّدقة اقترن معها في أغلب الآيات القرآنية الحاثّة عليها والمرغبة فيها، ومنها:

قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢].

ومنها قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] وغيرها كثير.

ولله درُّ الإمام الصنعاني ﷺ يوم قال:

إذا لم يكـــن لله فعلـــك خالصًـــا ... فكُـلّ بنـاء قـد بنيـت خـرابُ

فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى ... وقـد وافقتـه سـنة وكتـابُ(٢)

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٢٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني.

(٢) ينظر: عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢ /٦٧٣).

كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس ﷺ فلما أنزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله ﷻ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ(١)، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة ﷺ: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(٢) و(بخ) معناها تفخيم الأمر والإعجاب بما قاله أبو طلحة ﷺ.

للمسلمين على نُزورَة وَفْرهم ... كَنْزٌ يَفيضُ غِنًى من الأوقافِ

كَنْزٌ لو استَشْفَوا به مِن دائهم ... [لَتَوَجّروا](٣) منه الدَّواءَ الشافي

ولو ارتقَوا بجناحه في عصرِهم ... لأطارَهم بقوادمٍ وخَوَافِي(٤)

ويستقى من هذه القصة الجميلة ما يلي:

* فضل الإخلاص لله ﷻ وأثره على المسلم في حصول الثواب الجزيل والأجر العظيم

---

(١) بخ: كلمة تقال عِنْد الْمَدْح، ينظر تفسير غريب ما في الصحيحين (٢٦٧/).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١).

(٣) لعلها من الإيجار وهو الإكراء الذي هو عقد معاوضة، وكأنه أراد أن الواقف في سبيل الله يكافأ على وقفه ويعوّض بالشفاء والعافية في الدنيا.

(٤) الأبيات للشاعر معروف الرصافي، وله ديوان مطبوع.

من الله ﷻ.

* فضل المبادرة في عمل الخير والمسارعة إليه والاستجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ.

* الإنفاق مما يحبه الإنسان كي يكون أعظم لأجره وأزكى لنفسه، حتى إنه ورد عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يشتري أعدالًا من سكّر ويتصدق بها فقيل له: هلاَّ تصدَّقْتَ بقيمتها؟ فقال: لأن السكّر أحبُّ إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب والله يقول ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢].

وقال الحسن البصري رحمه الله: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولن تدركوا ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون(١).

* ثمرة الطاعة وأثرها على حياة المسلم ولذا نال أبو طلحة رضي الله عنه هذا الرضى والتسليم والأنس بالطاعة وهو يتجرّد من أحبّ أمواله إليه، وكيف عوّضه الله ﷻ بالرضى الداخلي والسعادة الغامرة بطاعة الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ص١٢٥، بتصرف يسير.